

مدينة عين ماضي من خلال الرحلات الحجازية المغربية في القرنين الحادي و الثاني عشر الهجريين.

The City of Ain Madhi as Portrayed in Pilgrimage Voyages from Morroco to Hijaz During the 11th and 12th Hijri centuries

أ. عبد القادر نواري^{1*}

¹ جامعة أحمد دراية أدرار- الجزائر

تاريخ الاستلام: 2019/07/10 : تاريخ القبول: 2020/04/27 : تاريخ النشر: 2020/09/20

ملخص: نسعى من خلال هذا البحث إلى إبراز الدور الفاعل الذي اضطلع به الرحالة المغاربة في التعريف بمدينة عين ماضي في إطار ركبهم الحجازي السنوي، إذ شكلت لنا بذلك مصدرا بديلا لكتب التاريخ العام في التعريف بهذه المدينة وتقديم صورة للأوضاع الاجتماعية والجغرافية والاقتصادية والثقافية لهذه المدينة التي كانت عبارة عن حاضرة علمية ومنطقة إستراتيجية، وللتدليل على ذلك نأخذ في هذه الدراسة نماذج من تلك الرحلات والأركاب الحجازية خلال القرنين الحادي والثاني عشر الهجريين.

الكلمات المفتاحية: مدينة عين ماضي – الرحالة – الرحلة الحجازية – الركب

Abstract: The aim of this research is to highlight the active role played by the moroccan travellers in introducing the city of ain madi in the framework of their annual pilgrimage (Hajj trip) . thus creating an alternative source for public history books introducing this city and pesenting a picture of the social geographical , economic and cultural conditions of this city , for a scientific capital and a strategic area . To illustrate this we take in this study models of those trips and the pilgrimage during the eleventh century AH.

key words : Ain Madi city - Traveller pilgrimage (Hajj trip) – ridi

*المؤلف المرسل: hnouari82@gmail.com

مقدمة:

لقد توجهت عناية الباحثين في ميدان التاريخ إلى اتخاذ عدة سبل و طرق في البحث خاصة إذا تعلق الأمر ببلد من البلدان أو منطقة من المناطق أو إقليم من الأقاليم، لأن كتب التاريخ العام لا تقدم لنا صورة مكتملة المعالم عن الأوضاع الاجتماعية و السياسية و الجغرافية و الاقتصادية و الثقافية عن هذا البلد أو الإقليم. و لعل من أهم هذه السبل و المصادر البديلة كتب الرحلات بشتى أنواعها، التي تعرفنا ببعض مناطق و بلدان الجنوب الجزائري، و من أهمها الرحلات الحجازية المغربية خاصة في القرنين الحادي و الثاني عشر الهجريين و التي أعطتنا صورة حية بشتى جوانبها الإنسانية عن بعض هذه المناطق كما قال الباحث مولاي بلحميسي "فالرحلات من المصادر المساعدة للتاريخ و هي أحيانا بمثابة الشريط السينمائي يصور منظرا أو يلتقط حدثا"⁽¹⁾.

ولعل من بين المناطق التي حظيت باهتمام بعض هؤلاء الرحالة المغاربة " مدينة عين ماضي" لذا حاولت من خلال هذا الموضوع أن أسلط الضوء على هذه المدينة من خلال الرحلات الحجازية المغربية في القرنين الحادي و الثاني عشر الهجريين.

والهدف من وراء هذا البحث هو التعرف أكثر على هذه المنطقة من خلال هاته دراسة الرحلات، باعتبار هاته الأخيرة تنقل لنا الأحداث بدقة ووضوح على عكس المراجع.

ومن هنا يمكن طرح الإشكالية التالية:

من هم أبرز الرحالة المغاربة الذين اخترقوا المنطقة ؟ وما هي الصورة الحضارية التي رسمتها هاته الأركاب الحجازية لمدينة عين ماضي؟

الفرضيات:

1 – تعتبر كتب الرحلات من المصادر البديلة التي تعطينا صورة حية عن كل الجوانب الإنسانية.

2 – الرحلة الحجازية المغربية من بين الرحلات التي قدمت لنا صورة واضحة عن الأوضاع الجغرافية و الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية.

3 – رسمت الأركاب الحجازية المغربية صورة حضارية لمدينة عين ماضي.

ولكي أوضح الموضوع من جوانبه المتعددة فقد ارتأيت من خلال دراستي هاته إتباع الخطوات التالية:

1- التعريف بمدينة عين ماضي و حدودها الجغرافية الحالية.

2- التعريف بالرحلة الحجازية المغربية و بيان قيمتها التاريخية.

3- مدينة عين ماضي في كتابات الرحالة المغاربة.

وأنهي عملي بخاتمة أستخلص فيها النتائج المتوصل إليها من خلال الدراسة.

كما اعتمدت في بحثي هذا على المنهج التاريخي الوصفي بالإضافة إلى المنهج التحليلي.

أولاً: التعريف بمدينة عين ماضي وحدودها الجغرافية:

تقع مدينة عين ماضي غربي مدينة الأغواط و تبعد عنها بحوالي 70 كلم، يحدها من الشمال الشرقي تاجموت، و من الشمال الغيشة و بلدية وادي مزي مع الحدود الغربية للغيشة و تاجرونة، أما من الجنوب الغربي ولاية البيض و من الشرق الحويطة و حاسي الرمل، و هي إداريا دائرة من دوائر ولاية الأغواط بدولة الجزائر.

ويقال أن سبب تسميتها نسبة لـ "ماضي بن يقرب" كما يذكر ذلك الأمير محمد بن الأمير عبد القادر في كتابه "تحفة الزائر" حيث يقول « وهذا الحصن اختطه ماضي بن يقرب من أقبال العرب في المائة الخامسة لأول استيلاء العرب على المغرب الأوسط أيام العبيديين ويحتوي على ثلاثمائة دار و تدخل له العين المسماة بالحصن في قناة و به صهاريج لجمع ماء المطر تسد عوز أهله، وله من المتانة و الحصانة ما يبهر العقول و حوله من النخيل و الأشجار المتنوعة ما هو زينة للناظرين»⁽²⁾.

وكذلك ذكرها المشرفي عندما كان يتكلم عن قبيلة أولاد ماضي قائلاً «... وليس ماضي هذا الذي تنسب له العين التي يقال لها "عين ماضي" و إنما هي منسوبة لـ "ماضي بن يقرب" من بني كبير أحد بطون كرفة بن الأثيج الهلالي»⁽³⁾.

و يقول الأغواط في رحلته "إن هذه البلدة تقع غربي تاجموت و هي محاطة بأسوار تشبه أسوار طرابلس و لها بابان عظيمان..."⁽⁴⁾.

ثانياً: التعريف بالرحلة الحجازية المغربية و بيان قيمتها التاريخية:

قد جاء في القرآن الكريم أن قريش كانتا لهما رحلتان، رحلة الشتاء و الصيف حيث قال الله تعالى «إيلف قريش إيلفهم رحلة الشتاء و الصيف...»⁽⁵⁾.

ولقد قيل "ولد الإنسان راحلاً"⁽⁶⁾ أي منتقلاً.

ولذا جاء في تعريف الرحلة أنها مشتقة من الارتحال أي الانتقال من مكان إلى مكان لتحقيق هدف معين مادياً كان أو معنوياً.

وأسباب الرحلة و دوافعها تختلف من شخص لآخر، فهذا يرحل بحثاً عن الرزق و ذلك طلباً للعلم و الآخر هروباً من الظلم أو لأداء فريضة الحج.

ولما زاد على الرحلة الإقبال تنوعت الأغراض و تعددت الموضوعات و تطور هذا الفن الأدبي كما و كيفاً، وأصبح من الأهمية بما كان، بحيث لا تكتمل الثقافة الإنسان بدونه، كما أصبح من أهم المصادر التاريخية التي يعتمد عليها المؤرخون في وصف البلدان و الأقاليم، و من بين أهم أنواع الرحلات الرحلة الحجازية المغربية نظراً لأهميتها و قيمتها التاريخية التي تكمن فيما يلي:

- ترصد الأوضاع العامة داخل المجتمعات الإسلامية و تعطي صورة واقعية عنها.

- تعطي حقائق معرفية و أحداثا تاريخية عايشها الرحالة.

- رسم خريطة جغرافية و بشرية لأهم المراحل و المحطات و الأحداث التي سيعايشها الرحالة في ذهابه و إيايه (وصف الطرق و المسالك و المدن و المعالم و الظواهر الاجتماعية و الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية و الطبيعية).

وهذا ما لخصه لنا الباحث مولاي بلحميسي في قوله « ولهذا كله زاد دور الرحلات المغربية أهمية لما فيها من أخبار أو إشارات حول المدن والتل والصحراء والقبائل والتجارة ، وأصحاب الرحلات... عرب لا يوقفهم حاجز اللغة مثل ما وقع للأوروبيين الذين قدموا للجزائر في ذلك العصر، ولا يورطهم عامل اللسان في الأغلاط والأخطاء وهم مسلمون إذن يعيدون كل البعد عن الأفكار المسبقة والنوايا السيئة بل تحلو بالتزاهة... »⁽⁷⁾

ومن خلال إبراز هذه القيمة التاريخية للرحلة الحجازية المغربية فإنه لا يمكن الاستغناء عنها في رسم الصورة التاريخية والتعريف بمنطقة أو إقليم المغرب الأوسط خاصة في القرنين الحادي والثاني عشر الهجريين، لذا اخترنا ها كمصدر للتعريف بمدينة " عين ماضي " .

ثالثا: مدينة عين ماضي في كتابات الرحالة المغاربة

لقد تعددت أركان الحاج المغربي باعتبار نقطة الانطلاق وطريق السير إلى أربع أركاب وهي: الركب السجلماسي والركب الفاسي والركب المراكشي والركب الشنقيطي، وهي برية يضاف إليها الركب البحري .

والذي يهمننا منها ويعيننا في بحثنا هذا هي الأركاب التي كانت تخترق مدينة " عين ماضي " إما ذهابا أو إيابا، وهي الركب السجلماسي والركب الفاسي وهذا الأخير كان هو الركب الرسمي منذ العهد المريني حتى أيام السعديين، ثم حل مكانه الركب المراكشي⁽⁸⁾ .

فكان اختياري لمجموعة من الرحلات الحجازية والتي بعضها فاسي وبعضها سجلماسي وهي رحلات أذكرها حسب الترتيب الزمني لهذه الرحلات الحجازية:

1 - الرحلة العياشية للبقاع الحجازية: الموسومة ب: " ماء الموائد " وهي الرحلة الثالثة، وهي للإمام أبي سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي المولود عام 1037هـ/ 1627م والمتوفي عام 1090هـ/ 1679م⁽⁹⁾ . وهذه الرحلة كانت ضمن الركب السجلماتي والتي كان مبدؤها عام 1072 هـ/ 1661م، ومنتهاها عام 1074هـ/ 1664م (حيث استغرقت 30 شهرا 17 يوما) وقد سلك رحمه الله في ذهابه طريق الصحراء مرورا بتراب اقروت وتقرت.

أما مرحلة الإياب فقد مر بمناطق سيدي خالد بسكرة والأغواط والغاسول وقد ذكر هناك مدينة " عين ماضي " وذلك في 17 من رمضان حيث قال « وفي يوم الاثنين السابع عشر من رمضان ارتحل الناس من الأغواط بعد ما تشاجروا في أي الطريق يسلكون، فمالت طائفة إلى طريق عين ماضي وكان لي فيها أرب لبيع بعض الكتب

ولقاء الأصحاب ولم يقدر ذلك وحالت طائفة وهي الأكثر إلى المرور على الطريق اليسرى لقربها وسهولتها وخصبها فيما زعموا وأكثروا مخبراً...»⁽¹⁰⁾.

فلاحظ من خلال كلامه أنه لم يدخل عين ماضي، رغم أن بغية الدخول لبيع الكتب ولقاء بعض أصحابه وهذا يدل على أن المدينة آنذاك كانت حاضرة علم تباع فيها الكتب وتعد في الجلسات العلمية وهذا ما سيبينه العياشي (رحمه الله) في رحلته الحجية الصغرى والتي هي عبارة عن خريطة يعدد من خلالها المنازل الحجية والحجازية.

2 - رحلة العياشي الحجية الصغرى: والموسومة بـ: تعداد " المنازل الحجية " أو " التعريف والإيجاز ببعض ما تدعو الضرورة إليه في طريق الحجاز " وذلك سنة 1068هـ/1658م وهي في الأصل رسالة بعث بها مؤلفها إلى أصحابه من علماء فاس وهو الشيخ القاضي أبي العباس أحمد بن سعيد الميلدي أو المجيلدي المتوفى عام 1094هـ/1682م بفاس (نسبة الميلدي إلى قبائل بني ميلد البربر في الأطلس الأوسط المغربي)⁽¹¹⁾.

لما عزم على الحج لخص له فيها بعض النصائح تهم المسافر وذكر له فيها أسماء المنازل التي يسلكها الحاج برا من سجلماسة إلى الحجاز وأرشده إلى بعض المزارات والصلحاء وبعض التحصينات والدعوات والأوراد التي تحفظ صاحبها.

وفي تعداده إلى هذه المنازل والمزارات ذكر له مدينة عين ماضي وحثه على النزول فيها والاستفادة من علمائها والسلام على بعض أصحابه بها، كما أنه بالغ في مدح أهلها ووصفهم بالخير والعلم قائلاً:

« ... ومنه إلى قرب عين ماضي ثم تصابحوها إن شاء الله، وهي قرية طلبة العلم، وأهل الخير، فأشحن ذهنك لمسائلهم، وسلم لنا على سيدي أحمد بن سالم وسيدي الزروقي ووالده سيدي أبي القاسم بن أحمد وسائر الطلبة »⁽¹²⁾.

فالملاحظ من خلال كلام العياشي ووصفه لعين ماضي أنها كانت حاضرة علم يكثر بها الطلبة وتناقش فيها المسائل العلمية كما سيأتي في كلام الهشتوكي، كما أنها كانت بلدة يكثر فيها أهل الخير والصلاح.

3 - رحلة اليوسي : للإمام العلامة أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي، المولود سنة 1040هـ/1631م والمتوفى في 23 ذي الحجة 1102هـ الموافق لـ 16 ديسمبر 1691م بتمزيت⁽¹³⁾.

وكان انطلاق ركب الحجاج من فاس يوم السبت 14 جمادى الثانية 1101هـ/24 مارس 1690م وكان الرجوع إلى تمزيت يوم الأحد 25 شوال 1102هـ/21 جويلية 1691م، وقد استغرقت الرحلة ذهاباً وإياباً سنة قمرية كاملة و08 أشهر و11 يوماً، وكاتب الرحلة في الحقيقة هو الابن الثاني لليوسي الذي رافق والده في هذه الرحلة وهو أحمد (بالفتح) العياشي (ت. 1131هـ/1719م)⁽¹⁴⁾.

وقد اخترق اليوسي مدينة عين ماضي في طريق ذهابه فوصف أهلها بجفاوة الاستقبال الحجاج و اعتناءهم بالقرآن الكريم وعلومه ورغبتهم في ملاقات أهل الصلاح والخير

كما أنه ذكر اعتناءهم بعلم القراءات و سؤالهم عن أحكام التجويد وقد دخلها في شهر رجب الموافق لفصل الربيع حيث قال « ثم صبحنا قرية عين ماضي يوم الأربعاء السادس عشر من رجب (24 أبريل 1690م) وأهلها يتلقون الحجيج فرحا وسرورا وأكثرهم طلبة يقرؤون القرآن ويرغبون في ملاقات أهل الصلاح ويسألون عن آيات في القرآن و التجويد و التفخيم و الترقيق وكيفية ذلك⁽¹⁵⁾. مع ثقل المفرط وجفاء في طبائعهم وبلادة و شح و بخل». وهذا يناقض كلامه الأول في حفاوة الاستقبال و الاعتناء بالقرآن⁽¹⁶⁾، ثم وصف ماءها بعدوبته و حلاوته قائلا: «وماؤها حلو عجيب»⁽¹⁷⁾

4- رحلة الهشتوكي الحجازية: لأبي العباس أحمد بن محمد بن داوود بن يعزى بن يوسف الهشتوكي شهيرة الجزولي نسبا نزيل تمكروت (ت.عام 1127هـ/1715م) وعنوانها: "هداية الملك العلام إلى بيت الله الحرام و الوقوف بالمشاعر العظام و زيارة النبي عليه السلام". وهي رحلته الحجية الأولى و كان الإنطلاق يوم الثلاثاء آخر ربيع الآخر سنة 1096هـ/الموافق 1684م⁽¹⁸⁾.

وقد اخترق الهشتوكي مناطق الجنوب الغربي مرورا بالقنادسة ثم بوسمغون ثم ارباوات ثم الكراكة و الغاسول حتى وصل إلى مدينة عين ماضي، حيث إنه دخلها وقت الظهر و خرج أهلها لملاقاته ركب الحجاج مرحبين و فرحين بقدمهم وهذا الوصف بينه الهشتوكي قائلا: «... ثم منه إلى عين ماضي و دخلناه قرب الظهر و لما قربنا إليه بأميال خرجت أهلها لملاقاتنا فرسانا و ركباننا و رجالا فارحين بنا غاية و أخذوا يلعبون بالخيل مع الحجاج ووقع ذلك اليوم فرح عظيم و سرور حسيم ووجدنا بلدهم ذات عيون و جنات تحكي بحسنها البدور المشرقات، وخرج إلينا فقهاؤهم وطلبتهم و كلهم يقرؤون فمهم من يدعي بالفقه و منهم يدعي بالنحو و منهم من يدعي بالتوحيد و سألني بعضهم عن قوله تعالى (لكن الراسخون في العلم منهم و المومنون يومنون بما أنزل إليك و ما أنزل من قبلك و المقيمين...)»⁽¹⁹⁾ ومراده و المقيمين هل هو منصوب أو مخفوض و على ماذا عطف فأجبت أنه تجوز فيه الوجهان و أصحابها النصب على أنه مفعول بفعل محذوف تقديره و الله ربنا أعلم أمدح المقيمين...»⁽²⁰⁾

ثم بدأ بطلب منه شواهد من القرآن و السنة و كلام العرب ففصل به الهشتوكي المسألة و بين له أوجه الإعراب فيها و شواهد ذلك إلى أن قال أنه سلم له و قبل يده و طلب منه الإجازة في الأجرومية بعد أن قرأ بعض الأبواب منها عليه قائلا:

«...فسلم و قبل اليد و طلب مني قراءة الأجرومية فقرأ علي منها أبواب و طلب مني فيها الإجازة فأجزته كما أجازني فيها أشياخنا إلى مؤلفها رضوان الله عليهم أجمعين و نفعنا ببركاتهم عامين و حفظنا بجاههم عند الله من الوباء و الطاعون و بجاه سيد الأنبياء و المرسلين صل الله عليه و على آله و صحابتهم أجمعين»⁽²¹⁾.

وهذا يدل على حرصهم على علوم الآلة خاصة النحو و هو ما يناقض كلام الرحالة الشيخ أبو العباس الهلالي (ت.1175هـ/1761م) خلال رحلته 1737م، عند حديثه عن مدينة عين ماضي أنهم لا يعرفون من النحو شيئا وكذا غيره من علوم الآلة، فإما أنه في وقته درس هذا العلم و لم يبق من يدرسه و من يعتني به و سيأتي الكلام على ذلك عند التطرق إلى رحلته.

ونرجع إلى الهشتوكي ثم بدأ يعدد المسائل التي طرحت عليه سواء في علم الفقه أو علم الكلام و العقائد، فسئل عن قول خليل في مختصره « وإن أعطته سفية ما ينكحها به ثبت الخ »⁽²²⁾ ، وسأله آخر عن أقسام الإيمان ما هي و كم هي ، وآخر عن المصلي الذي يقال بأن في الأفعال قاضي في الأقوال... ، وآخر عن تعلق الصلاحي و التنجيري للقدرة و الإرادة.

و هذا كله يدل على اعتناء أهل هذه المدينة بالعلم، ويظهر من خلال تنوع المسائل التي طرحت على الشيخ و التي أوردها بأجوبتها في رحلته، ثن انتقل رحمه الله إلى ذكر مسألة أنكرها على أهل المدينة و التي ذكرها أيضا بعض الرحالة ممن مروا بمدينة عين ماضي وهي عدم اغتسال النساء من الجنابة و الحيض و خوفهم من استعمال الماء، و عاتب رجالهم على ذلك، ثم انتقل رحمه الله إلى مدح أهل هذه المدينة خاصة حرصهم وحبهم للعلم و اشتغالهم به من قديم الزمان قائلا:

« ... وبالجملة فما رأيت فيهم محمودا إلا سرورهم وفرحهم بالركب المحمدي أكثر من غيرهم، وحبهم للعلم و اشتغالهم به من قديم الزمان إلى الآن وقد حذرني منهم شيخنا القاضي الأريب أبو مروان سيدي عبد المالك ابن محمد التجمعتي⁽²³⁾ أيده الله قائلا أنهم يسألون كل من مر من بلدهم ممن وسم بالعلم وذكروا أنهم سألوه حين مر عليهم عن ما فاتته صلاة الصبح أعوام هل يقرأ في كل صبح القنوت أم لا. قال فأجبتهم بأنه يقرؤه فقالوا له أين دليله في مختصر خليل قال فقلت لهم أين أنتم من قول الشيخ في بكورة السعد على نحوه ما فاتته قال فسلموا انتهى ثم ذكر (رحمه الله) كلام العياشي السابق الذكر في كتبه للشيخ القاضي أبو العباس المجليدي يبين له فيه تعداد المنازل الحجازية⁽²⁴⁾ .

ثم غادر (رحمه الله) المدينة متوجها إلى مدينة تاجموت ، لكنه انحرف عنها مع ركب الحجاج بسبب الخوف من نبات الديراس الذي يقتل الإبل عند الأكل منه وقد حذره أهل عين ماضي منه حيث قال: « ولما أردنا الخروج من عين ماضي أخبرنا الناس بأن الشيخ سيدي أحمد بن ناصر أيده الله ونفس في عمره للإسلام بالنبي عليه و الصلاة والسلام وءاله الكرام و صحابته الأئمة الأعلام انحرف عن طريق تاجموت لما به من نبت يقتل الإبل حيث رعته يسمى الديراس ... ».

4 – الرحلة الناصرية: للشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي المدعو بالخليفة، ولد في 18 رمضان 1057هـ/1647م وتوفي عام 1129هـ و قيل 1128هـ بتامكروت⁽²⁵⁾ .

وقد حج رحمه الله أربع حجات، كانت الأخيرة منها عام 1121هـ/1709م والرجوع يوم 06 رمضان 1122هـ/1710م، وهذه الرحلة الحجازية هي التي ذكر من خلالها مدينة عين ماضي ووصفها بأنها بلدة يكثر فيها طلبة العلم (حاضرة علم) وأهل محبة ونية صادقة كما وصفهم بكثرة الجود والكرم، وذكر مسجد البلدة العتيق وأنه صلى فيه تبركا وأنه لم يطل مدة الإقامة بها في هذه الحجة حيث قال:

« ونزلنا عين ماضي عصر الأحد التاسع رجب رابع شنتبر وتلقانا أهلها أفواجا أفواجا وأقمنا به يوم الإثنين لاستراحة الإبل وتنجيل الدواب»⁽²⁶⁾ .

ثم أثنى على طلبة العلم بها وذكر فقهاءهم قائلا:

« ... وعين ماضي أهلها كلهم طلبة علم يقرءون خليلا وكبيرهم سيدي أحمد الدهصاء بالدال المفتوحة والهاء الساكنة وصاد مهملة على وزن حمراء، إلا أنه كبير السن به علة لا يقدر على المشي إلا راكبا على حمار وأولاده الثلاثة فقهاء سيدي عبد الرحمان وسيدي محمد وسيدي زروق ومن فقهاءهم سيدي أبو حفص وسيدي محمد بن عيسى بن يحيى وسيدي بلقاسم ابن عيسى وسيدي عيسى بعاكاز مؤدب الأطفال وغيرهم »⁽²⁷⁾، حيث ذكر رحمه الله صفوة من فقهاء عين ماضي وهم احدى عشر فقيها ثم وصفهم بالخير وصدق النية قائلا:

« وهؤلاء امتلأت قلوبهم محبة وصدق »⁽²⁸⁾ ، وبعد كلام أورده في تسلط مولاي عبد المالك عليهم وأخذ بعض ثرواتهم انتقل إلى وصف ماء عين ماضي وعيونها وبساتينها وكرم أهلها قائلا « وماؤهم طيب بارد وعينهم خرجت من سفح جبل ودخلت للجنات وضيئوا الركب كثر الله خيرهم »⁽²⁹⁾ .

كما أنه نبه على بعض أوصافهم وحرصهم على العلم واستنساخ الكتب وذلك في حجته السابقة لأن هذه لم يتمكن من طول الإقامة لضيق الوقت حيث قال: « وفي عام ستة وتسعين (1096هـ حجة) طلبوا منا أن نترك لهم نسخة الغنيمة لوالدنا لينسخوها. فتركناها لتعم الفائدة، والله يصلح النيات بمنه وكرمه، وهم خلصاء النية فينا وفي غيرنا تقبل الله أعمالهم وأصلح أفعالهم، وطلب من بعضهم الذهاب لبيته فأسعفناه، وذهبنا مع جماعة من أصحابنا فأطعمنا جزاه الله خيرا ووقانا وإياهم والمسلمين ضيرا »⁽³⁰⁾ .

ثم ذكر مسجدهم القديم (العتيق) وأنه صلى فيه صلاة الضحى تبركا به وبمن صلى فيه، ويشير إلى نسب أهل عين ماضي وأئمتهم من أهل بيت النبوة قائلا: « ومررت بمسجدهم ودخلت إليه وصليت به سبحة الضحى تبركا به وبمن صلى فيه وعلم فيه من أسلافهم الكرام، وهم على ما صح عندهم شرفاء أهل البيت زادهم الله علما ودينا وعناية وعافية ووقاية، وهم منعزلون بقريتهم لا يساكنهم غيرهم، وهم عاكفون على قراءة الفقه ويعظم صغيرهم كبيرهم، وكلهم تفرعوا عن أصل واحد، ولا حسد بينهم ولا تباغض - فيما يبدو لنا - غير أنهم لا يبالون بالحجاب »⁽³¹⁾ .

- ثم ذكر مسألة تطرق لها بعض من مر بمدينة " عين ماضي " وهي قضية عدم اغتسال النساء من الحيض والجنابة خوفا من استعمال الماء، وهذه المسألة أيضا ذكرها الهشتوكي في رحلته الحجازية كما سيأتي ان شاء الله .

قال الناصري « وأكبر من هذا (عدم الحجاب) أن نساءهن لا يغتسلن من جنابة ولا من حيض ولا نفاس، وكلمناهم على ذلك أيضا ولمناهم فاستعذروا بأن ذلك يضر بهن في أرحامهن، على أن جماعة ممن يوثق به من أصحابنا قالوا: رأينا نساءهم يغسلن الصوف وسط الساقية الجارية بماء بار فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، نسأله سبحانه أن يهدينا وإياهم إلى الصراط المستقيم.....، ولضيق الوقت بنا وإرهاقنا ما أطلنا المكث عندهم ولا دخلنا قريتهم، كما أرهقنا الوقت أيضا عن المرور بميسرة⁽³²⁾ والتبرك بأثار الصالحين الذين مروا بها وسلكوها ».

ثم بدأ يصف ميسرة،، ثم ذكر رأي أهل عين ماضي في زيارتها والتبرك بآثار الصالحين بها قائلاً « ... وأهل عين ماضي ينكرون زيارته وقالوا: إن الرجال لا تشد إلا إلى ثلاثة مساجد، وهذا ليس منها. وتكلمنا معهم ولا معتمد لهم في ذلك سوى ما ذكر...»⁽³³⁾.

- ثم بعد ذلك انطلق الراكب إلى مدينة تاجموت وذلك يوم الثلاثاء ونزلوها ظهراً ومنها إلى مدينة الأغواط، أما في طريق رجوعه من الرحلة الحجازية فأيضاً سلك نفس الطريق وعرج على مدينة عين ماضي لكنهم لم ينزلوا بمدينة تاجموت لما بها من نبات الدرياس المضر بالإبل وهذه الحادثة أيضاً ذكرها الهشتوكي في رحلته الحجازية عندما خرج من عين ماضي نصحه أهلها بأن يتجنب مدينة تاجموت لما فيها من نبات الدرياس القاتل للإبل وأخبروه بأن الشيخ ناصر الدرعي قد مر بجانبها ولم يدخلها (كما سيأتي) وقد التقى الناصر في طريق عودته بعين ماضي ببعض أصحابه ممن تخلف عن ركب الحجاج فلحقوا به في مدينة عين ماضي، وذلك في مستهل شهر شعبان ليلة الخميس قال:

« ... ورحلنا لعين ماضي قبل الاصفرار وراحت أوليات الراكب طفلاً (أي آخر النهار بعد الاصفرار) وأخرياته مغرباً يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من رجب والثاني عشر من سبتمبر وتلقانا أهلها كباراً وصغاراً قرب البلد . ونزلنا خارج البلد على مسيل الماء وسلم الله الإبل والحمد لله من تناول الدرياس فضلاً منه وامتناناً »⁽³⁴⁾ ، ثم ذكر نكتة⁽³⁵⁾ فيها كيفية حماية الإبل من الدرياس وكيفية علاج الإبل التي تناولت منه.

ثم قال: « وأقمنا يوم الأربعاء واستهل هلال شعبان ليلة الخميس ولحق بنا اصفراراً الأحب سيدي محمد بن موسى الاسحاق مع سيدي مسعود من أولاد سيدي أبي يعزى وسيدي عبد القادر المكلدي وسيدي الشاوي أخوا الأحب سيدي المرجاني مع بعض الصعاليك جاؤوا وحاجبين مع الراكب لما سمعوا بنا أزمعوا السير إلينا فرحاً بملاقاتنا. والله ينفعهم بمنه وكرمه واستفدنا بعض أخبار البلد جملة ... »⁽³⁶⁾.

5 – رحلة الحضيكي الحجازية : للعلامة الفقيه أبي عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي اليوسي المولود في شعبان 1118هـ/1706م وتوفي يوم 19 رجب 1189هـ/1757م ، وكان إنطلاق ركب الحجاج سنة 1152هـ/1740م انطلافاً من سوس لكنه لم يذكر تاريخ العودة لأن ما وجد من رحلته هو وصوله إلى مدينة مصر في طريق العودة وقد تعلم الحضيكي عن مدينة عين ماضي في طريق ذهابه بعد أن مر على الغاسول وميسرة ووادي سيدي طيفور وجبل الملح ثم دخل عين ماضي فوصف أجنحتها وسورها وصفة أهلها ، وأنهم من أهل العلم كما أشار إلى نسبتهم لآل البيت قائلاً : « ونزلنا بعده قرية يقال لها عين ماضي فيها أجنة تين وعنب محفوفة بالحوائط والزروب وللقرية كذلك سور ممنوع ، ونساؤها يرعن بالحسن والجمال إياك ثم إياك يا أخي أن تدخل القرية ، والزم منزلك وخبائك ، واغضض بصرك فإنهن يفتنن من رmqهن ، ويخرجن للتسوق مع الحاج في منزله ، ولا يبيع ولا يشتري في تلك البلاد غالباً إلا النساء ولقد إفتتن بهن عامة الحجاج إذ نزلنا بها والعياذ بالله من فتنة الأهواء واتباع الشهوات »⁽³⁸⁾ وهذه الأمور ذكرها الناصري والهشتوكي .

ثم قال « ولبعض أهلها نوع من مخالطة العلم ، وأنت تراني نساؤهم كذلك متبرجات بزيتهن لإحياء معهن ولاديين متغلبات عليهم وحكي أنهن لا يصلين أصلا ، ولا يغتسلن من الحيض ، ولا من الجنابة مخافة من الماء مع أنهم إدعوا الشرف »⁽³⁹⁾.

6 – رحلة الوزير الإسحاقى الحجازية : للشيخ أبي محمد سيدي الشُّرفي بن محمد الإسحاقى (ت. 1150 هـ) المدعو الجيلاني⁽⁴⁰⁾.

وهي رحلة دونت من طرف الإسحاقى بأمر من السلطان مولاي عبد الله (ت 1171 هـ) تخليداً لذكرى حج والدته الأميرة خثالة بنت بكار المغافري (ت. 1155 هـ) وهي (زوجة السلطان مولاي إسماعيل) ، فالرحلة عبارة عن وفادة رسمية تضم أم السلطان ونجله الأمير محمد ونخبة من العلماء والفقهاء يتصدرهم الوزير الإسحاقى ، الانطلاق يوم الجمعة 11 جمادى الثانية 1143 هـ من دار الخلافة بمكناس، وكان انطلاق هذا الركب الحجازي الفاسي يوم الخميس 25 جمادى الثانية 1143 هـ/1730 م ودخل مكة ليلة 07 من ذي الحجة 1143 هـ⁽⁴¹⁾ ولم نهتد إلى وقت العودة.

وقد اخترق الإسحاقى مدينة عين ماضي ذهاباً وذلك أنه ذكر بعد خروجه من قرية المشرية⁽⁴²⁾ فوصف المراحل بينها وبين عين ماضي حتى وصل إلى مدينة عين ماضي فبدأ يصفها ويصف أهلها قائلاً: « ومن الغد تقاضينا السير أحسن تقاضي فكان النزول على عين ماضي، وإذا هي دشرة على نشز من الأرض، تحف بها مهامه فيج مهبا للريح، منابت للشيخ (نبات معروف) بها أشجار من الفواكه، دخلها من أشياء من أهل الركب، اشتروا منها وباعوا، من جملة ما اشتروا منها الرمان ونزل علينا بهذه الدار وبالتالي قبلها مطر غزير ما أمسكته الخيام لقينا منه أمر إمرا، وتلقى أهل القرية المذكورة ولد سيدنا نصره الله سيدي محمد أصلحه الله خارج البلد على نحو أربعة أميال، وأظهروا الفرح والسرور، ولعبوا على فرسان لهم مع وُصفان سيدنا نصره الله وغيرهم، لكن أهل القرية المذكورة ميل، وأقمنا بهذه القرية يوماً واحداً قضى الناس فيه بعض مأربهم »⁽⁴³⁾.

ثم ذكر (رحمه الله) ما يحدث في دار قاضي البلد واختلاط النساء والرجال بها، ولقاءه أيضاً بفقهاء البلد وتذاكره معه في بعض المسائل الفقهية ووصفه بقله الفقه وأنه يحفظ فقط متن خليل مع تصحيف فيه فادح دون فهمه وفقهه، وتناقش أيضاً معه في مسألة عدم اغتسال نساء المدينة والتي أثارت فضول كثير من الرحالة المغاربة، فحالوا معرفة أسبابها ودواعيها لإصدار فتوى فيها، كما مر معنا في الرحلات السابقة، فهذا أيضاً الإسحاقى سأل فقيه البلد عن سبب عدم اغتسالهن فأجابه إجابة غير مقنعة، ثم ذكر مسألة الحجاب عند أهل عين ماضي وأنهم لا يبالون به⁽⁴⁴⁾.

ثم وصف مأوهم ومنبعه قائلاً: « وأهل هذه القرية مأوهم يصل إليهم في ساقية كبيرة هابطة في سفح الجبل المقابل لها المسمى بجبل المعمور (العمور). وربما قطعها عنهم جيرانهم وأعداؤهم أهل الطريفية، فلا يرسلونها لهم حتى يصلحوا »⁽⁴⁵⁾.

7 - رحلة أبي العباس الهلالي السجلماسي: أحمد بن عبد العزيز بن الرشيد الهلالي (ت. 1175هـ/1761م) بتافيلالت، المسماة " التوجه لبيت الله الحرام وزيارة قبر عليه الصلاة والسلام" (46)، وهي رحلة انطلقت من سجلماسة وبالضبط من الزاوية الزينية بتافيلالت وذلك في شهر جمادى الآخرة سنة 1150هـ الموافق لـ أكتوبر 1737م مع الركب، حيث اخترق هذا الركب مدينة عين ماضي في طريق ذهابهم بعد المرور ببعض مناطق مدينة البيض كميصرة ووادي المخبلى ومنطقة أولاد سيدي طيفور، حيث ذكر الهلالي كرم أهل عين ماضي وحفاوة أهلها وخروجهم لملاقاتهم وكثرة طلبه العلم بها قائلاً:

« ... ثم ارتحلنا فمررنا بجمال للأعراب حين بدت لنا عين ماضي واشترى منهم الحجاج جلودا ولحما وغير ذلك ثم بلغنا عين ماضي حين ارتفاع النهار، وتلقانا كثير من أهلها من بعيد وكنت قد سمعت أن طلبه العلم بها كثير، فسألت أحد من تلقانا عن فقيها ما اسمه فقال الفقهاء فيها كثيرون فسألته عن أكبرهم علما فقال لي كلهم كُبراء ففهمنا أنه عامي لم يميز مراتبهم فسألته عن قاضيهم وقلت لعلمهم لا يستقضون إلا أعلمهم فقال لي كلهم قضاة، فنزلنا قرب القرية وهي قرية منقطعة بعيدة عن العمارة ذات ماء معين والأعراب يؤذون أهلها كثيرا حتى أنهم ذكروا لنا أنهم تركوا الحرث ليلا تاكله الأعراب كما أكلوه في العام الماضي ولهم بُحيرات (بساتين) داخل سورهم فيها أشجار وقَرع وللقرع عندهم شان حتى أن رجلا جاء يطلب برنسا يشتريه بقرعة وذكر لنا جاء يطلب بعيرا ... يشتريه بالقرع، وأقمنا بها يومنا وجاء الأعراب بالإبل وغنم للبيع ... » (47).

ثم وصفهم بكثرة حفظهم للقرآن وعنايتهم بالعلم خاصة الفقه والعقائد والتفسير و علم الحديث قائلاً:

« ... وأهل هذه القرية كثير منهم يحفظون القرآن ويقرؤون مختصر الشيخ خليل ورسالة ابن أبي زيد، و صغرى السنوسي و كتاب ابن أبي جمرة في الحديث ويسردون تفسيري الثعالبي و الخازن وهم لا يعرفون من النحو شيئا و كذا غيره من علوم الآلة ، ولا يرحلون للعلم بل يقنعون بما عندهم و يأخذ بعضهم عن بعض ويلازمون قراءة الفقه، أخبرني شيخ منهم ذو سن عالية أنه استمر يُقرئ المختصر الخمسة و عشرين عاما، و أنه لا يعرف إعراب البسملة ولا قرأ شيئا من كتب النحو ولو الأجرومية وكذلك غيره منهم» (48).

ثم ذكر أنجب فقهاءهم في نظره وأنه جلس معه وتجاوز في بعض المسائل: « وأنجبهم فيما رأيت سيدي محمد الأحمر حفيد سيدي أحمد بن سالم الذي ذكره أبو سالم (يعني العياشي) في وصيته المسماة بالرحلة الصغرى وقد تكلمت معه في شأن قراءتهم للكتب بلا عربية فقال لي ما معناه إنما نأخذ منها ما ظهر وسهل ونترك ما وراء ذلك لأربابه وهذا ما يدل على نجابته و أما غيره قد حسبوه أن لا غاية وراء ما وصلوا إليه منها، وقد حضضته على قراءة العربية فقال لي لا نجد يقيم لنا هنا يعلمنا ولا نقدر على السفر للتعلم وأخبروني لا أحبس عندهم وإنما يُقرءون لله تعالى و ما أحسن هذا القصد منهم لو توفرت شروط الإقراء و بالجملة فهم خير من كثير من أهل هذه النواحي فإن العلم فيها ركبت ريحه .. » (49)

8- الرحلة الناصرية الكبرى: للإمام الفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري المولود سنة

1145هـ/1732م وتوفي ليلة السبت 12 صفر 1239هـ/ 18 أكتوبر 1823م بتمكروت (50).

انطلقت الرحلة من الزاوية الناصرية بتامكروت يوم الخميس 03 جمادى الثانية 1126 هـ الموافق 16 ماي 1782م بعد صلاة الظهر، وكان الرجوع إلى الديار يوم الأربعاء 07 رمضان 1197 هـ/ 16 أوت 1783م وقد استغرقت هذه الرحلة ما يقارب ستة عشر شهرا ذهابا و إيابا.

وقد اخترق الناصري مدينة عين ماضي ذهابا و إيابا متبعا خط السير المعتاد من طرف ركب الحجاج المغاربة فقد مر بمدينة بوسمغون وهناك التقى بالشيخ سيدي أحمد التجاني⁽⁵¹⁾ (ﷺ) عائدا من مدينة تلمسان وقد تذاكر معه فقال: « ورد علينا هاهنا أي بأبي سمغون رجل ينتمي للعلم و الصلاح من شرفاء عين ماضي اسمه سيدي أحمد التجاني رفض سكن بلده بعد تطبيق زوجته وانقطاعه للجولان شرقا وغربا، وقدمه الآن كان من تلمسان مرغما من بعض أمراء الترك بها رغم أنه أخذ عن الشيخ السمان المدني و أجازه، وأخذ العهد على الشيخ محمود الكردي المصري، وتذاكرنا معه مسائل حتى انجرى الكلام لعدم تحسين الطن بمُرتبطة أذعياء الزمان فانشد لغيره (من المتقارب)

إذ لم يكن إلا الأسنه مركبا فما يمنع الإنسان إلا ركوبها

وتناقشا في عدة مسائل ذكرها هناك في رحلته⁽⁵²⁾، ثم خرج من بوسمغون قاصدا الشلالة حتى وصل إلى ميسرة و ذكر مسجدها و التبرك به وزيارته و ذكر هنا أن أهل عين ماضي ينكرون زيارته عن أبي عباس الناصري السابقة لكنه دعم هنا بن عبد السلام رأيهم قائلا:

وفي الرحلة الناصرية (يقصد بها رحلة أبي العباس) "أهل عين ماضي يذكرون زيارة ميسرة محتجين بأن الرحال لا تشد إلا إلى ثلاثة مساجد، وهذا ليس منها وتكلمنا معهم ولا معتمد لهم في ذلك سوى ما ذكر".

قلت (القائل بن عبد السلام) والحق معهم، فالأولى اليوم هجرانه لا بالقلب سيما لمن يقتدى به وكيف وقد علمت معتقد العامة فيه، ولعلم طلبة عين ماضي بمعتقدات العامة فيه هجروا هم الزيارة له، وجعلوا يحذرون الناس منها حسما لمادة ذلك . وهم أعرف ببلادهم-أهل مكة أعرف بشعائهم- على أن شد الرحال لغير المساجد الثلاثة-كزيارة الأولياء ونحوها- اختلف العلماء فيها بالجواز وغيره ومحل الخلاف ما لم تبن عليه مفسدة دينية وإلا حرمت بلا نزاع⁽⁵³⁾.

وأخبر الناصري أن بالمخيلي قرب مسجد ميسرة هو مجتمع الركبين الفاسي و السجلماسي، ثم ذكر بعض المناطق التي بين المخيلي وعين ماضي إلى أن وصلها قرب الزوال ووصف أهلها بحفظ القرآن و تقدم العلم في أسلافه و أنه آل البيت الشريف وقبيلتهم "تعرف بالتجاجة" وذكر بعض أعيان البلد بها قائلا:

« ووصلنا عين ماضي قرب الزوال وهذه البلدة عامرة بأهلها، وغالهم شرفاء من أهل البيت من قبيلة بالظها تعرف بالتجاجة يحفظون القرآن وتقدم في أسلافهم العلم، وأما اليوم فالعلم قد ذهب أهله، ولم يبقى إلا إسمه فقد دخلت البلد وسبحت سبحة الضحى بمسجدهم، وأضافنا آخر العهد الناصري منهم وهو سيدي عبد القادر بن الشيخ أحمد بن يحيى بن أبي عامر تقبل الله منه، وجاءنا المسن فقيه البلد سيدي محمد بن زيان فمنه يستمدون وعليه يعتمدون وله بعض ممارسة بألفاظ مختصر خليل، أوقفني على التقويد الكبير لأبي

الحسن الصغير على المدونة⁽⁵⁴⁾ في ستة أجزاء ضخام من الكبير حُبوسا بدأه بمقدمة في فضل العلم يرمز بالضاد لعياض. وبالشين لإبن رشد و الخاء للخمي والميم لابن يونس والعين وال قاف لعبد الحق وربما استفى بالقاف و حدها له⁽⁵⁵⁾.

ثم قال «وليس في الخزانة الناصرية من تقييد الشيخ أبي الحسن هذا إلا جزءان نسأله الله أن يكمله لنا، فنعم الكتاب والله، ولهم سيما عند أبناء الدهماء⁽⁵⁶⁾. منهم كتب كثيرة متداولة، ولما جرى ذكر التوضيح على ابن الحاجب قال ابن أبي زيان المذكور⁽⁵⁷⁾ "أشياخنا يقولون أنظر التوضيح تستريح" ثم ودعنا الله تعالى وقرأ «يستبشرون بنعمة من الله وفضل» إلى «فانقلبوا بنعمة من الله وفضل»⁽⁵⁸⁾ ثلاثا "إنا فتحنا لك فتحا مبينا" إلى "وينصرك الله نصرا عزيزا"⁽⁵⁹⁾ ثلاثا⁽⁶⁰⁾.

وهذا يدل على أن عين ماضي حاضرة علم تزخر بمكتبات و خزائن للمخطوطات تحوي أمهات كتب فقه المالكية ونوادير المصادر و المراجع حتى أن الناصري تأسف لعدم وجود تقييد أبي الحسن الصغير كاملا في مكتبة زاويتهم الناصرية.

ثم انتقل إلى وصف جمال المدينة و حصانتها و عذوبة مائها و كثرة بساتها و حدائقها قائلا:

« وبلدتهم هذه حصينة مبنية كلها بالحجارة دارت بها الأجنة و الحدائق و فتحو لها الأبواب من داخل البلد و من خارج وهي مشتملة على فواكه و ما أكثر لديهم التفاح، تسقى الأجنة كلها من عين واحدة خارجة من سفح جبل بقرهم، عذبة باردة، يزعمون أنه يورث التفوق في الأيدي و الأرجل في زمن الشتاء ولازالوا يشكون ظلم أولاد يعقوب الساكنين في غابة الجبل في التعدي على مائهم هذا، فربما قطعوه عنهم في بعض الأحيان ظلما و عدوانا⁽⁶¹⁾، ثم انتقل إلى مسألة التي قدمت أنها أثارت فضول الكثير من الرحالة المغاربة و هي مسألة عدم اغتسال نساء المدينة من الجنابة و الحيض خوفا من الضرر كما يزعمون أن الإغتسال بمائهم يعقمهن فتركن ذلك لذلك.

وكذلك أثار مسألة ترك الحجاب وكن يتولين البيع و الشراء بدل الرجال و ترك أغلبهم للطهارة المائية و الاستغناء عنها بالطهارة الترابية(التيمم).

ثم قال: «و رباعهم و ديارهم و مياهم كلها حبس على الذكور دون الإناث و من ساكنهم من غيرهم فالارفاق أو الكراء هكذا حدث البعض منهم و زرنا مقبرتهم و فيها سيدي أحمد بن الدهماء وغيره ممن سمي ابن الناصر في الرحلة⁽⁶²⁾، و انقطع العلم في نسل الجميع، و إنا لله و إنا إليه راجعون ذهب العلم و أهله»⁽⁶³⁾.

أما في طريق العودة فقد وصل إلى مدينة عين ماضي في الخامس من شهر شعبان و استقبله أهلها خاصة أخذ العهد الناصري و ضيفهم، ووجهه الناصري بعض الأسئلة من طرف الحجاج و أهل البلد بعضها في الفقه و بعضها في التعبير الرؤى و بعضها في علوم الحديث و مصطلحه ثم غادرها متجها نحو منطقة ارباوات بضواحي البيض حاليا:

قال (رحمه الله) « وفي الخامس من شعبان وصلنا عين ماضي فرحب بنا أهلها فأنزلنا الأبر السيد عبد القادر- آخر العهد الناصري- بحديقة له و أجزل ضيافتنا كغيره من أهل البلد تقبل الله منه...»⁽⁶⁴⁾.

« ووقع السؤال من بعض الحجاج ونحن بعين ماضي... » وبدأ يعددها ثم قال: « وسئلت من أهل البلد عمن باع شاة للذبح بدارهم إلي فذبحها المشتري ثم أراد البائع أن يأخذها بدلها شعيرا أو غيره من الطعام ؟ فأجبت أنه اقتضاء الطعام من ثمن طعام وهو ربي محرم، إذا الشاة المرادة للذبح سيما إن كانت خصيا في حكم المذبوح من اللحم وهو طعام، و قد جرى النزاع في النازلة بين الطلبة فوافقني شيخهم ابن زيان على فتوايا وربنا أعلم بالصواب»⁽⁶⁵⁾. ثم طرحت عليه مسائل أخرى لا نطيل في ذكرها.

الخاتمة:

وفي الأخير أرجوا في نهاية هذا البحث المتواضع أن أكون قد وفقت في تقديم صورة وافية عن أهمية الرحلة الحجازية (الحجية) المغاربية في التعريف بمدينة عين ماضي وبيان جانب من تاريخها الثقافي و العلمي و الجغرافي، وإذا كانت هناك نتائج يمكن استخلاصها من الموضوع فيمكن حصرها فيما يلي:

- 1) أن كتب الرحلة الحجازية المغربية تكتسي أهمية في التأريخ لمدينة عين ماضي خاصة ومدن الجزائر عامة في عهد أهمل فيه الجانب الثقافي و الحضاري لهذه المناطق وقلت فيه حركة التدوين و التأليف.
- 2) أنها أعطتنا صورة جغرافية لمدينة عين ماضي حيث وصفها الرحالة بأنها مدينة حصينة محاطة بسور متين تتوزع فيها الأجنحة و البساتين من كل الجوانب و تكثر فيها الفواكه و الثمار و تجري تحتها المياه العذبة.
- 3) هذه الرحلات زودتنا بمعلومات مهمة حول الجانب العلمي و الثقافي الذي كانت تزخر به عين ماضي فهي تعتبر حاضرة علم يكثر بها طلبة القرآن و الفقه و تزخر بمجموعة من الفقهاء، كما أنها كانت تزخر بمجموعة من المكتبات و الخزائن التي تجمع نواذر الكتب و المخطوطات.
- 4) كذلك هذه الرحلات رسمت لنا الحالة الإجتماعية لسكان المنطقة حيث وصفهم جل الرحالة بحفاوة الاستقبال واسعة الكرم، وشدّة حرصهم على الاستفادة من أهل العلم والتبرك بأهل الصلاح و الخير.
- 5) أدعوا أبناء عين ماضي الغيورين عليها أن يعيدوا إحياء مجد أجدادهم و يجمعوا شتات تاريخ خاصة ما هو باقي وقد مر معنا في الرحلة الناصرية وجود نواذر كتب الفقه.

هوامش البحث:

- (1) مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال الرحلات المغاربية في العهد العثماني ، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص08.
- (2) محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر، اعتنى به: أ. الداودي بوخاري و أ. رابح قادري، ط2، دار الوعي، الجزائر، 2015، ج1، ص 358.
- (3) الشيخ عبد القادر المشرفي الجزائري، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، تحقيق: محمد بن عبد الكريم، ط1، دار الوعي، الجزائر، 2017، ص23.
- (4) الحاج ابن الدين الأغواطي، رحلة الأغواطي- ضمن مجموع رحلات، جمع وتحقيق: أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، دار المعرفة الدولية، الجزائر، 2011، ص88-89.
- (5) سورة قريش، الآية 1 – 2 .
- (6) مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال الرحلات المغاربية في العهد العثماني ، مرجع سابق، ص 09.
- (7) نفسه، ص14.
- (8) محمد المنوني، ركب الحاج المغربي، مطبعة المخزن، تطوان، المملكة المغربية، 1953، ص 08.
- (9) الإمام محمد بن أحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي(ت.1189/1775م)، تحقيق: أحمد بومزكو، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، المملكة المغربية، 2006، ج2، ص396.
- (10) أبي سالم العياشي، الرحلة العياشية للبقاع الحجازية الموسومة بـ "ماء الموائد"، تحقيق: الشيخ أحمد فريدالمزدي، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2011، ج2، ص530.
- (11) الحضيكي، طبقات الحضيكي، ج1، مرجع سابق، ص81.
- (12) أبي سالم العياشي، رحلة العياشي الحجية الصغرى الموسومة بـ : تعداد المنازل الحجازية، تحقيق ودراسة: عبد الله حمادي، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2013، ص63.
- (13) محمد بن الحاج الصغير الإفرائي، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تحقيق: د. عبد المجيد خيالي، ط1، مركز التراث الثقافي المغربي، المملكة المغربية، 2004، ص344/ انظر كذلك: الحضيكي، طبقات الحضيكي، ج1، مرجع سابق، ص206.
- (14) محمد العياشي بن الحسن اليوسي، رحلة اليوسي، تحقيق: أحمد الباهي، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ، بيت الحكمة ، تونس، 2018، ص 19.
- (15) نفسه، ص76.
- (16) نفسه، ص76.
- (17) نفسه، ص76.
- (18) عبد السلام بن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ط1، دار الفكر، لبنان، 1997، ص253.
- (19) سورة النساء، الآية 161.
- (20) الهشتوكي، هداية الملك العلام إلى بيت الله الحرام، مخطوط رقم 121 بالمكتبة الوطنية بالرباط، اللوحة 119 ، (نسخة خاصة).
- (21) نفسه، اللوحة 120.
- (22) خليل بن اسحاق المالكي، متن المختصر، تعليق: أبي ولد المصطفى، ط1، دار ابن حزم، لبنان، 2016، ص 150.

- (23) الإمام الفقيه العلامة القاضي النوازي أبو مروان عبد المالك بن محمد التجموعي السجلماسي قام برحلة حجازية له عدة مؤلفات في غاية الدقة والإتقان منها شرح رائية بن ناصر وكان ينظم الشعر توفي ليلة الثلاثاء 05 صفر 1118 هـ. انظر في ترجمته كتاب الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج للقادري، ط1، طبعة دار الأبحاث، الجزائر، 2011، ص180.
- (24) أبو سالم العياشي، تعداد المنازل الحجازية، مصدر سابق، ص 62 – 63.
- (25) الإفرائي، صفوة من انتشر ...، مرجع سابق، ص 364.
- (26) أبو العباس أحمد بن محمد الدرعي، الرحلة الناصرية، تحقيق: عبد الحفيظ ملوكي، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2011، ص 130.
- (27) المصدر نفسه، ص130.
- (28) المصدر نفسه، ص130.
- (29) المصدر نفسه، ص131.
- (30) المصدر نفسه، ص131.
- (31) المصدر نفسه، ص131.
- (32) ميسرة عبارة عن منطقة بها أنقاض مسجد ومقبرة قديمة بتراب ولاية البيض، يتوافد عليها الزوار للتعبرك منذ القديم، وقد ذكرها أبو سالم العياشي في رحلته الصغرى والكبرى (ماء الموائد) وذكرها غيره من الرحالة وهي طريق ركب الحجاج السجلماسي والفاسي بين المخيلي وواد الاشبور (تبعد عن مقر ولاية البيض بحوالي 25 كلم).
- (33) أبو العباس الدرعي، الرحلة الناصرية، مصدر سابق، ص 131-132.
- (34) المصدر نفسه، ص719-720.
- (35) المصدر نفسه، ص720.
- (36) المصدر نفسه، ص720-721.
- (37) عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيوخ والمسلسلات، باعتناء: د. إحسان عباس، ط4، دار الغرب الإسلامي، تونس، ج1، ص 351-352 وكذلك انظر: الحضيكي، طبقات الحضيكي، مرجع سابق، ج1، ص 21-22.
- (38) أبي عبد الله محمد الحضيكي السوسي، الرحلة الحجازية، ضبط وتعليق: د. عبد العالي لمدير، ط1، دار الأمان مع الرابطة المحمدية للعلماء، المملكة المغربية، 2011، ص 84-85.
- (39) المصدر نفسه، ص85.
- (40) بن سوادة، دليل مؤرخ المغرب، مرجع سابق، ص 237.
- (41) أبي محمد سيدي الشرفي الإسحاق (ت. 1150)، رحلة الوزير الإسحاق الحجازية، دراسة وتحقيق: د. محمد الأندلسي، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2017، ج1، ص
- (42) هي عبارة عن قرية صغيرة تابعة لولاية البيض وتعرف بالمشرية الصغرى حتى تميز عن المشرية الكبرى (مشرية عنتر) التابعة لولاية النعام، وقد أخطأ بعض محققي بعض الرحلات الحجازية، حيث أشاروا إلى هذه الأخيرة وهو خطأ لجهلهم بجغرافية المنطقة، والمشرية الصغرى هي عبارة عن مكان به عين اشتراه الشيخ أبو حفص بن عبد القادر المعروف بسيد الشيخ مع ابن أخته سيدي عطاء الله بن زهيب (بلعابد) إلى أولاد سيدي علي عمارة، ترجمة: بوداود اعمير، ط1، مكتبة النصر، عين الصفراء الجزائر، 2014، ص 237-238.
- (43) الإسحاق، الرحلة الحجازية، مصدر سابق، ص 272-273.
- (44) المصدر نفسه، ص 273-273.
- (45) مصدر نفسه، ص 274.

- (46) بن سوادة، دليل مؤرخ المغرب، مرجع سابق، ص 237. وانظر كذلك: أبو سالم العياشي، تعداد المنازل الحجية، مرجع سابق، ص 22.
- (47) أبو العباس أحمد الشيخ بن عبد العزيز الهلالي، التوجه لحج بيت الله الحرام وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام، مخطوط غير تام (بدون رقم التصنيف)، خزانة سيدي عبد الله البلبالي كوسام، أدرار، الجزائر، اللوحة رقم: 17، (توجد منه نسخة خاصة). (48) المصدر نفسه، اللوحة رقم: 17-18.
- (49) المصدر نفسه، اللوحة رقم: 18.
- (50) محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تعليق: عبد المجيد خيالي، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003، ج1، ص546. وكذلك انظر: بن سوادة، دليل مؤرخ المغرب، مرجع سابق، ص 34. وكذلك انظر: (عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات، مرجع سابق، ج2، ص843-844.
- (51) هو الشيخ العلامة سيدي أبو العباس أحمد بن محمد التجاني (مؤسس الطريقة التيجانية ولد عام 1150هـ/1737م)، بعين ماضي، وتوفي عام 1230هـ/1814م) بفاس، كان عارف أهل زمانه (أنظر في ترجمته الحاج أحمد سكيرج، كشف الحجاب عمّن تلاقي مع الشيخ التجاني من الأصحاب، المكتبة الشعبية، لبنان، 2002، ص 9-10، وكذلك انظر: الشيخ سيدي أحمد التجاني (رحمه الله) ومنهجيته في التفسير والفتوى والتربية، بقلم د. عبد الرحمان طالب، (د، ن)، وهران، 2004.
- (52) أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري (ت. 1239هـ)، الرحلة الناصرية الكبرى، دراسة وتحقيق: د. المهدي الغالي، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2013، ج1، ص194-197.
- (53) المصدر السابق، ج1، ص201.
- (54) تقييد أبي الحسن على المدونة للفقيه أبي الحسن الصُّغَيْرِه علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلي، انتهت إليه رئاسة الفقه والأصول بفاس، قدمه أبو يعقوب يوسف المريني لقضاء تازة، توفي سنة 719هـ.
- (55) الناصري، رحلة الناصري الكبرى، مصدر سابق، ج1، ص203.
- (56) سيدي أحمد الدهماء الذي التقى معه أبو العباس الناصري في رحلته ووجده كبي السن وذكره أبناؤه الثلاثة، وقد مر الكلام عليه. وانظر الرحلة الناصرية لأبي العباس الناصري (ت. 1129هـ)، مصدر سابق، ص130-131.
- (57) الناصري، الرحلة الناصرية الكبرى، مصدر سابق، ج1، ص203.
- (58) سورة آل عمران، الآية 171-174.
- (59) سورة الفتح، الآية 01.
- (60) الرحلة الناصرية الكبرى، مصدر سابق، ج1، ص204.
- (61) نفسه، ص203.
- (62) أبو العباس الناصري (ت. 1129هـ)، الرحلة الناصرية، مصدر سابق، ص130-131.
- (63) أبو عبد الله الناصري، الرحلة الناصرية الكبرى، مصدر سابق، ج1، ص205.
- (64) أبو عبد الله الناصري، الرحلة الناصرية الكبرى، مصدر سابق، ج2، ص906-907.

